NTU Journal for Administrative and Human Sciences (2026) 6 (1) : 63-79
DOI: https://doi.org/10.56286/zk32t291-V6I1

IRAQI Academic Scientific Journals

JAHS NTU

P-ISSN: 2789-1240 E-ISSN:2789-1259

NTU Journal for Administrative and Human Sciences

Available online at: https://journals.ntu.edu.iq/index.php/NTU-JMS/index

Speech Acts in Ka'b ibn Zuhair's Poetry - An Analytical Study

Abbas Hussein Muhammad

Ministry of Education - General Directorate/Nineveh Education

iraqa494@gmail.com

Article Informations

Received: 23-3-2025
Accepted: 22-1-2026
Published online: 1-3-2026

Corresponding author:
Name: Abbas Hussein Muhammad
Affiliation : Nineveh Education
Email: iraqa494@gmail.com

Key Words:
keyword1, Speech acts
keyword2, Ka'b ibn Zuhayr

A B S T R A C T

Verbal verbs are an integrated door to clarification, it is a clear window that shows the power of creativity in choosing what is possible so that the writer shows the image of the possible in actions through what the verb carries from the meaning of achievement, and thus the influence power that carries the meaning of persuasion to the recipient appears as the appropriate and chosen act.

The selection process is not an arbitrary process, but rather a mental process determined by the intelligence of the writer through the correct and careful selection to reach the process of understanding and persuasion.

falqudrat ealaa tahamul aleulmyt hi alati tahmil almutalaqiy nahw aliaqtinae likuli ma hu matruh ; liusaf almarad yahmil alaiqnae waliaiqtinaei.

THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE:
https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

الأفعال الكلامية في شعر كعب بن زهير –دراسة تحليلية–

م.م. عباس حسين محمد

وزارة التربية _ المديرية العامة/تربية نينوى

iraqa494@gmail.com

مستخلص:

تعد الأفعال الكلامية بابًا متكاملًا للتوضيح، فهو نافذة بينة تظهر مدى قوة الإبداع في اختيار ما هو ممكن؛ ليظهر الأديب صورة الممكن في الأفعال من خلال ما يحمله الفعل من معنى الإنجاز، وبالتالي تظهر القوة التأثيرية التي تحمل معنى الإقناع للمتلقي بأنه الفعل المناسب والمختار. فعملية الاختيار ليست عملية اعتباطية، بل هي عملية ذهنية يحددها ذكاء الأديب من خلال الاختيار السليم والمتأن للوصول إلى عملية الإفهام والإقناع. فالقدرة التأثيرية هي التي تحمل المتلقي نحو الاقتناع بكل ما هو مطروح؛ ليوصف التأثير يحمل على الاقناع والاقتناع. وكعب بن زهير أحد الشعراء البارزين الذين سعو الى التجديد في شعرهم في العصر الاموي، فقد اتسم شعره بالقوة والرصانة إضافة الى الجزالة في التعبير، والتي تعكس بدورها قدرة تأثيرية من خلال الأفعال الكلامية التي تتناسب وتناغم مع عصرها خاصة العصر الاموي الذي عرف باختفاء نوع التجديد خاصة من خلال التداخل الذي حصل بين الشعر الجاهلي والإسلامي، ومن خلال التغيير الذي طرأ على ذلك العصر.

المبحث الاول:

مقدمة:

تعد نظرية الأفعال الكلامية العنصر المهم والبارز التي قامت على الاتجاه التداولي إذ تعد من أهم نظريات التداولية، ونواتها المركزية وتعني:((كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، وعلاوة على ذلك تعد نشاطاً مادياً نحوياً يتوسل بأفعال قولية إلى تحقيق أغراض إنجازية (كالطلب والأمر والوعد والوعيد... الخ) وغايات تأثيرية (كالرفض والقبول) أي أنها أفعال تطمح أن تكون ذات بعد تأثيري في المخاطب عبر إنجاز شيء ما))

فالفعل في اللغة: القدرة على إحداث شيء من عمل وغيره، ومن ذلك: فعلت كذا أفعله فعلًا، وكانت من فلان فعلة حسنة أو قبيحة. والفعال جمع فعل)، فعملية الإحداث هي التي تسعى إلى التغيير، أما في الاصطلاح فنجد أن الفعل: كلمة دلت على معنى في نفسها، مقترنة

بزمن له دلالته الخاصة، فالمعنى الدال على معنى المقترن بزمن محدد هو ما يحدث التغيير وما يميزه هو دلالته على الحدوث والتجدد وعليه فحين نتحدث عن الفعل نقصد به الحدوث والوقوع، ومن ثم إنجاز الأفعال بمعنى الإنشاء والابتكار، فالإنشاء والابتكار وهو ما يحل البعد الدلالي للأفعال إلى الخارج لغاية التأثير والإقناع.

أما معنى(كلامي) فمأخوذ من الكلام، وذلك في حديث سيبويه (ت180هـ) عندما تحدث عن الكلام قائلًا: كل كلمة لفظ وليس كل لفظ كلام ؛ أي: إذا كان اللفظ دالًا على معنى فهو كلام؛ لأنه يسعى إلى الإفادة وقد جمع ابن مالك مفهوم الكلام في أرجوزته قائلًا:

((كلامنا لفظ مفيد كاستقم اسم وفعل ثم حرف الكلم

واحدة كلمة والقول عم وكلمة بها كلام قد يؤم).

فحديث ابن مالك عن تقسيم الكلام ما هو إلا توضيح للكلام الذي يعمل على التأثير والإقناع من هنا نرى بأن الفعل الكلامي لا يظهر إلا عبر اللغة، فالبحث عن الأفعال الكلامية أو نظرية الحدث الكلامي يعد بحثًا تداولية؛ لأن النشأة الأولى للتداولية كانت مرادفة للأفعال الكلامية، لذا فقد أهتمت اللسانيات الحديثة بهذا المعنى، ويعد **أوستن** من أوائل المؤسسين لنظرية الأفعال الكلامية عندما ألقعدة محاضرات في جامعة إكسفورد، وهارفارد،وقد جمعت المحاضرات الأخيرة في كتاب طبع بعنوان(كيف نفعل الأشياء بالكلمات أو كيف ننجز الأفعال بالكلمات).

المبحث الثاني: الجانب العلمي

أفكار أوستن في نظريته في محورين هما:

1- رفض ثنائية الصدق والكذب.
2- الإقرار بأن كل قول هو عبارة عن فعل أو عمل

وبعبارة أخرى نجد بأن أوستن قد سلط الضوء على الأفعال عبر تأثيرها في الكلام، فقد تصدى للرد في نظريته على فلاسفة الوضعية المنطقية الذين رأوا بأن اللغة أداة رمزية لها مقابل في الوجود الخارجي، ولا وظيفة لها إلا وصف هذا العالم بطريقة إخبارية، ثم يكون الحكم على تلك العبارة بالصدق أو الكذب، كما أنهم أنكروا العبارات الغير إخبارية فهي عبارات لا يعتد بها، وهذا ما عارضه أوستن من خلال تقديمه للفعل الكلامي، إذ يرى بأن بعض تشبه في التركيب العبارات الوصفية إلا أنها لا تصف شيئًا في الواقع الخارجي، كما أنها لا تحتمل الصدق والكذب؛ لذا سعى أوستن إلى التمييز بين نوعين من الأفعال:

الأولى: أفعال إخبارية أو تقريرية: ويقصد بها الأفعال التي تخبر أو تصف الواقع الخارجي ويحكم عليها بالصدق والكذب.

الثانية: أفعال أداتية أو إنشائية: وهي الأفعال التي لا يحكم عليها بالصدق والكذب، إنما هي أفعال تنجز فعلًا فقط

كم وضع شروطًا للموائمة ليتحقق عبرها الفعل الأداتي وحصرها ب ثلاثة أنواع هي:

1- وجود إجراء عرفي مقبول، وله أثر عرفي محدد، كما قرر بوجوب أن يكون القائمين بالفعل مناسبين لهذا الإجراء المحدد، وأن تكون الظروف مناسبة لذلك.

2-يجب أن يؤدي هذا الإجراء جميع المشاركين فيه أدآءًا صحيحًا وذلك بالابتعاد عن استعمال الكلمات الغامضة أو الغير مفهومة.

3-أن يشترك القائم بالإجراء والمشارك فيه في الأفكار والمشاعر نفسها، وعلى المشارك في الإجراء أن يوجه نفسه إلى ما يتبعه ذلك من سلوك ظاهر

واعتبر أوستن أن الشرطين الأولين يجب أن يتحدد بهما لأداء الفعل، فإذا اختل شرط من الشروط لا يؤدى الفعل وأطلق على الأفعال التي لا تلتزم بهذه الشروط باسم أفعال الإخفاقات، أما إذا اختل الشرط الأخير فإن الفعل في هذه الحالة يطلق عليه مصطلح الإساءات من خلال ما سبق نجد بأن أوستن قد فصل القول في الأفعال عبر تقسيمها، وتوضيحها ضمن شروط معينة وكانت هذه الشروط النواة الأولى لمفهوم الفعل الكلامي، إذ بدأ في مرحلة ثانية أعقبت مرحلة التأسيس وحاول مراجعة وتعديل هذه التقسيمات والشروط التي وضعها للتميز بين الأفعال الإخبارية والأفعال الأداتية فرأى بأن الفعل الكلامي مركب من ثلاثة أفعال هي:

1-الأفعال اللغوية:

ترتكز هذه النظرية على فكرة الإنجازية والتي مفادها أن بعض الألفاظ في حقيقتها لا تصف شيئاً في العالم، ولا يمكن الحكم عليها بمعيار الصدق والكذب أي أنها أفعل أدائية ة فهي أفعال تقوم على تأدية الفعل بل يقصد بها الوصف أو التقرير لشيء ما في العالم الخارجي، وقد سعى أوستن إلى إيضاح الفعل اللغوي والذي أشار إليه بكونه أدائي؛ ليشير عبره إلى أن الفعل الأنجازي هو فعل أدائي نؤديه أو ننجزه في أثناء النطق به أي أن القول هو أداء على حد قوله ولكنها تؤدي أفعالاً أي أنه قام بالتمييز بين العبارات الإنجازية والعبارات غير الإنجازية

وأن جوهر نظرية أوستن يقوم أو يكمن في أن الأقوال قد تكون أحياناً أفعالاً أو بعبارة أدق مؤدية إلى الأفعال وأهميتها عائد إلى إثبات أن تلك المنطوقات ليست خالية من المعنى، وإلى تحديد السمات المميزة لها، وأهم هذه السمات هو ارتباطها بالموقف الذي تقال فيه، ومن حيث أنها ملائمة له، أو غير ملائمة

وبهذا يتقارب المفهوم العربي من المفهوم الغربي، وذلك عندما حدد البلاغيون الوظيفة اللغوية عندما نادوا بأن (لكل مقام مقال) فاذا كان الملفوظ يؤدي دلالة معنوية تأثيرية كان لها فعل إنجازي بحسب رؤية أوستن، وقد صنف هذه الأفعال إلى:

(صوتي) ← فعل الكلام وهو الذي يتحقق ما إن نتلفظ بشيء ما.

(تركيبي) ← فعل قولي (الكلام) الإنجازي أو العرضي فهو الذي يتحقق بقولنا شيء ما

(دلالي) ← لازم فعل الكلام التأثيري هو الذي يتحقق نتيجة قولنا لشيء ما.

وبهذا يكون الكلام

كلام ← يتوجه إلى مرسل ← لغاية فعل إنجازي= تأثيري ← غايته الإقناع

ويمكن تمثيل الفعل القولي على النحو الآتي:

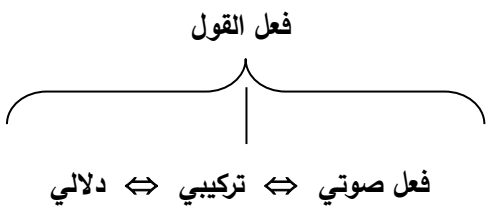

أي أن فعل القول حسب نظرية أوستن يتداخل بين الفعل الصوتي والتركيبي لدرجة استحالة الفصل بينهما ذلك؛ لأن إنتاج فعل تركيبي يتطلب معه إنتاج فعل صوتي قبله، وفعل دلالي بعده أي أن يكتب معنى محدد، أما التلفظ بفعل القول يقودنا مباشرة إلى التركيب وإلى الدلالة وهذا ما اصطلح عليه أوستن بتسمية الفعل الإنجازي الذي يعد محور نظرية (أفعال الكلام) ، والتي مهدت للأفعال الإنجازية.

2-الأفعال الإنجازية:

يعرف الفعل الانجازي بأنه الفعل الذي يظهر من خلال معنى الإنجاز ويعد الفعل الإنجازي عماد الأفعال الكلامية ويقصد به أن المتكلم عندما ينطق بقول ما، فهو ينجز معنى قصدي وهو

ما أطلق عليه أوستن بقوة الفعل وقد اشترط في تحقيقه ضرورة توفير السياق العرفي المؤسس لغة ومحيطاً وأشخاصاً.

بوصفه الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي إذ أن القوة الإنجازية تعد دليلاً يسمى دليل القوة الإنجازية؛ يبين فيها نوع الفعل الإنجازي الذي يؤديه المتكلم بنطقه للجملة.

((إن تحقيق الفعل اللفظي بوجه عام هو في ذات الوقت إنجاز لفعل ما، إنجاز تؤديه الصيغة اللفظية الناتجة عن تحقيق الفعل اللفظي أي الناتجة عن قول شيء ما، ويتعلق الأمر هنا بالوظائف التي تؤديها الألفاظ اللغوية في سياقات استعمالها كأن تكون الاستفهام، أو الإخبار أو الوعد أو غيرها))

إن الفعل الذي يحققه مستعمل اللغة هو ما يصطلح أوستن على تسميته بالفعل الإنجازي من هنا تتضح العلاقة بين الفعل اللفظي، والفعل الإنجازي في أن الأول يقتصر على تحقيق الألفاظ أو تعبيرات لغوية ذات دلالات مرجعية إحالية، أما الثاني (الفعل الإنجازي) فيتمثل في تحقيق ألفاظ وتعابير لغوية تنطوي على قوة إنجازية قد يمثلها الإخبار، أو الاستفهام أو غير ذلك وهذه القوى الإنجازية هي ما تمثل القصد التداولي من تحقيق الفعل اللغوي، وبهذا يكون الفعل الإنجازي هو الفعل الذي تبرز من خلاله معالم الاستعمال.

ومن شروط الفعل الإنجازي:

1-أن يؤدي الفعل اللفظي؛ لأن ماهية الفعل الكلامي هي الإنجاز الذي يتحقق عن طريق الملفوظ أما الأفعال التي تتحقق عن طريق الإشارة فهي غير داخلة في حقل الأفعال الكلامية، وإنما تدخل في مجال السيمياء

2-أن يمتلك بهذا الفعل اللفظي امتلاك القوة الإنجازية المعينة أي يكون قادرًا على إحداث الإقناع.

3-أن يتأكد من الفهم: أي تكون عملية تقبل من قبل المتلقي أي أن يكون هنالك تواصلًا فكريًا.

4-أن يستوفي أعرافاً معينة تحدد ممارسة الفعل في بعض الحالات، ولا يكون ذلك إلا عبر التواصل

3-الفعل التأثيري:

ويقصد به الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في المتلقي ويعني ذلك أن الكلمات التي ينتجها المتكلم في بنية نحوية منتظمة تكون محملة بمقاصد معينة في سياق محدد تعمل بدورها على تبليغ الرسالة واحداث تأثيرات معينة سواء أكانت جسدية أو فكرية أو شعورية

إذن فالفعل التأثيري هو الفعل الذي يحدث تحقيقاً للفعل الإنجازي عبر وقع القول في النفس أو الأثار التي يحدثها القول في المتلقي.

ويميز بين الفعل الإنجازي والتأثيري على النحو الآتي:

في حال قولي كذا فقد حققت اخباراً، أو وعداً أو تحذيراً.

بواسطة قولي كذا أزعجت مخاطبي أو أفرحته أو أقنعته.

الفعل الإنجازي ← الفعل التأثيري

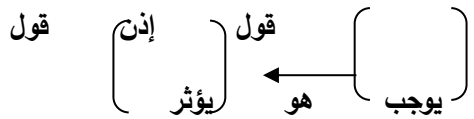

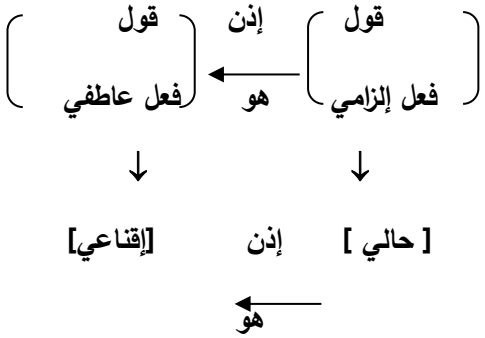

وبهذا يكون الفعل اللفظي فعل إنجازي وبالتالي فعل تأثيري فكل فعل إنجازي هو فعل تأثيري، ولكن ليس كل فعل تأثيري هو فعل إنجازي

كما قدم أوستن تصنيفاً آخر للأفعال وقد قسمها على أساس القوة الإنجازية فجعلها على النحو الآتي

1- **أفعال الحكم** (الأحكام) أو الحُكميات: وهي أفعال تعنى بالجانب الحكمي أي الحكم الذي يصدره قاض أو حكم وتدل على التقييم والتقويم وتشمل أفعال التبرئة والتقدير وإصدار المرسوم.

2- **أفعال القرارات الأفعال الدالة على الممارسات أو القرارات (الإنفاذيات):** وهي الأفعال التي تعبر عن اتخاذ قرار في صالح شيء أو شخص أو ضده ويكون هذا القرار حق يمارسه الشخص تجاه الآخر ويكون هو المسؤول عن اتخاذه للقرار.

3- **أفعال التعهد (الوعديات):** وهي أفعال تلزم المتكلم بفعل عمل معين ووجوب القيام به كأفعال القسم والتعهد وأعد، أتعاقد على، أضمن، أقسم على، أقبل.

4- **أفعال السلوك (السلوكيات):** وتمثل هذه الأفعال رد فعل على حدث ما إذ أنها تجسد موقف المتكلم في القول أمام المخاطب كالاعتذار والترحيب والشكر والتهنئة والتعزية.

5- **أفعال الإيضاح (العرضية):** وتقع هذه الأفعال استخداماً لتوضيح فكرة ما أو لتوضيح وجهة نظر، أو بيان رأي، وذكر حجة كالإثبات والتأكيد والنفي والشروح والتوضيح والإنكار والتأويل والوصف والتعبير.

إن عمل أوستن في مجمله يدور حول الأفعال وما يكمن فيها من إنجاز، بعبارة أخرى سعى أوستين إلى توضيح أثر الفعل داخل الجملة بوصفه محركًا وفاعلًا في تغيير الحدث. ويمكننا أن نسمي هذه المرحلة النواة الأولى للأفعال الكلامية ويمكن توضيح هذه المرحلة بالمخطط الآتي:

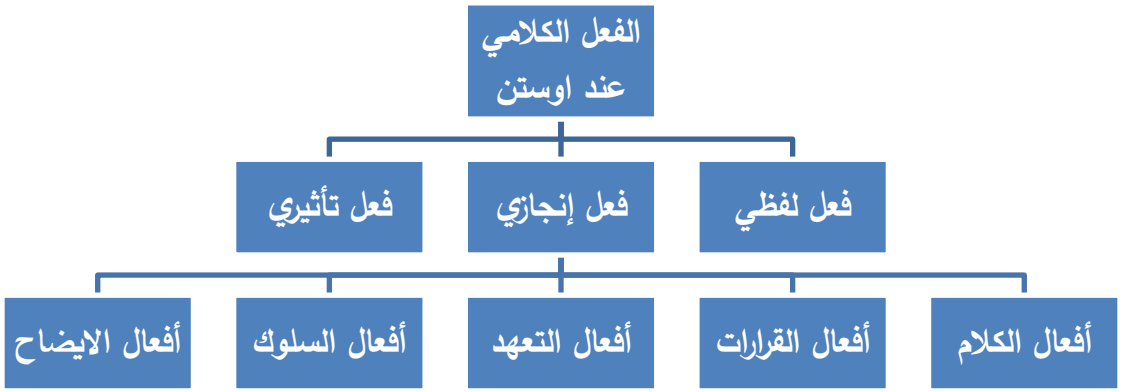

ثانيًا: نظرية أفعال الكلام لدى جون سيرل:

أما مرحلة النضج فقد بدأت وتكاملت مع أعمال سيرل الذي يعد واضع الأسس المنهجية لنظرية أفعال الكلام ومرسي قواعدها فقد طور الآراء التي جاء بها أوستن، وتدور أفكار ضمن المبادئ الآتية:

1-يرى بأن الفعل المتضمن في القول (الإنجازي) هو الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي وللقوة الإنجازية دليلًا يبين لنا نوع الفعل الإنجازي الذي يؤديه المتكلم حين ينطق بالفعل كالنغم، وصيغ الفعل والنبر.

2-يرتبط الفعل الكلامي بالعرف اللغوي ولا يقتصر على مراد المتكلم.

3-سعى إلى تطوير شروط الملائمة التي تحدث عنها أوستين وجعل منها أربعة شروط هي:

أ – الشرط القضوي: ويتحقق بأن يكون للكلام معنى قضوي، والقضوي نسبة إلى القضية التي تقوم على المتحدث عنه أو مرجع ومتحدث به أو خبر أو محتوى ويتحقق شرط المحتوى القضوي بأفعال الوعد إذا دل على حدث في المستقبل يلزم به المتكلم نفسه، فهو فعل في المستقبل لكنه مطلوب في المخاطب.

ب: الشرط التمهيدي: ويتحقق إذا كان المتكلم قادرًا على إنجاز الفعل.

ج: شرط الإخلاص: ويتحقق حين يكون الشخص مخلصًا في أداء الفعل.

د: الشرط الأساسي: ويتحقق حين يحاول المتكلم التأثير في السامع لينجز الفعل.

وقسم الفعل الإنجازي على نوعين هما:

1-الفعل الإنجازي المباشر:

الفعل الذي يطابق قوته الإنجازية مراد المتكلم أي أن يكون القول مطابقاً للقصد بصورة حرفية تامة، ويتمثل في معاني الكلمات التي تتكون منها الجملة، وقواعد التأليف التي ينتظم بها الكلمات في الجملة، ويستطيع المتلقي أن يصل إلى مراد المتكلم بإدراكه لهذين العنصرين معاً

ويشترط فيه أن لا تكون به حاجة إلى بيان أي معنى إضافي أي أنه لا يحتمل التأويل، ولا يقصده.وقد عرفه سيرل بأنه: الفعل الذي يتلفظ به المرسل في خطابه ويعني حرفياً ما يقول وفي هذه الحالة فإن المرسل يقصد أن ينتج أثراً إنجازياً، ويقصد أن ينتج هذا الأثر من خلال جعله المرسل إليه يدرك قصده في الإنجازمن هنا نرى بأن مهمة الفعل الإنجازي تكون بقدرته على التأثير.

2-الفعل الإنجازي غير المباشر:

يرى **سيرل** أننا في حالة التعبير البسيط ننطق بجملة واحدة ونقصد ما نقول تماماً، ولكن المشكلة تكمن في أن الأمور لا تسير بهذه البساطة فقد يختلف المعنى المقصود عن الحرفي الدلالي للمنطوق كما يحدث في الاستعارة والتشبيه والكناية

إذن فالمشكلة الأساسية تكمن في كيفية كان المتكلم من أن يقول شيئاً ما ويعني ذلك، وهو في الوقت نفسه يريد أن يقول شيئاً آخر، ومن ثم كيف يمكن للمتلقي أن يفهم الفعل الكلامي غير المباشر، مع أن ما يسمعه يدل على شيء آخر

لذا فقد عرف الفعل الإنجازي غير المباشر عدة تعريفات أهمها:

القيام بفعل ما داخل في القول بواسطة فعل آخر داخل في القول فالفعل الأول يسمى فعلاً كلامياً غير مباشر)، يقوم به المتكلم بقصد التأثير بصورة غير مباشرة في المتلقي.

أو أنها أفعال ذات ضمنية لا تدل على صيغة الجملة بالضرورة، ولكن السياق دخل في تحديدها وتوجيهها ليوضح مفاهيمها داخل النص

أي الأفعال الإنجازية تفهم من سياق الكلام، بوصفها الدليل على معناها؛ لذا فقد عرفها **ظافر الشهري** فالأفعال الكلامية ما هي إلا استراتيجية لغوية تلميحية يعبر بها المتكلم عن القصد بما يغاير معنى الخطاب الحرفي، لينجز بها أكثر مما يقوله؛ أي: يتجاوز قصده مجرد المعنى الحرفي لخطاب ما فيعبر عنه بغير ما يقف عنده لفظ مستثمراً في ذلك عناصر السياق

فالمعنى الإنجازي غير المباشر يعتمد على اللغة التلميحية غير الصريحة والمعنى الإنجازي المباشر يعتمد على اللغة الصريحة المباشرة.

وقد فرق **ستانلي فش** في كتابه **(هل يوجد نص في هذا الفصل)** بين أفعال الكلام المباشرة وغير المباشرة فجعل الأفعال الكلامية المباشرة لها علاقة توافقية بين التركيب والوظيفة التواصلية في كل جملة (خبر، استفهام، أمر)

أما عندما تكون العلاقة بين التركيب والوظيفة التواصلية بعيدة عن المباشرة نقول أنها فعل كلامي غير مباشر.

ويمكن تمثيل الأفعال الكلامية عند سيرل بالمخطط الآتي:

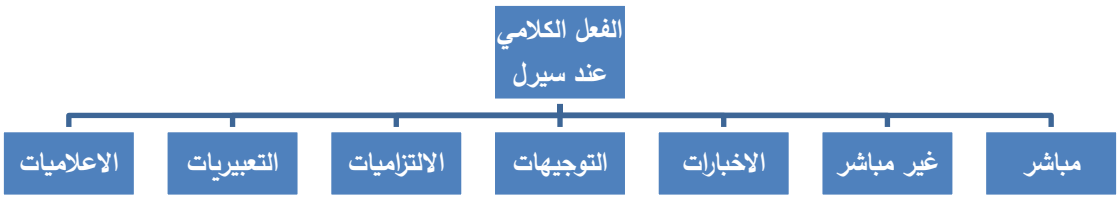

<u>جانب من حياة كعب بن زهير:</u>

صحابي جليل وشاعر مخضرم مشهور، هو ابو عقبة كعب بن زهير بن أبي سلمى، وأسم أبي سلمى هو ربيعة بن رباح بن قرض بن الحارث مازن بن ثعلبة بن ثور بن هذمة بن لاطم بن عثمان بن عمرو بن أد.

شاعر مشهور من نجد، ووالدته من بني غطفان يقال إنها كبشة بنت عمار، عاش مع والده في قبيلة غطفان، ظهرت شاعريته في وقت مبكر ولا شك في ذلك فقد عاش في أشهر البيوتات المعروفة بالشعر والشاعرية، فقد ورث الشعر عن أبيه، يقول ابن الأعرابي: كان لزهير في الشعر ما لم يكن لغيره، فقد كان أبوه شاعرًا وخاله شاعرًا، وأخته سلمى شاعرة وابناه كعب وبجير شاعرين وأخته الخنساء شاعرة أيضًا. تشهد حياة كعب بعد اكتمال عوده منعطفًا أساسيًا وهامًا فقد قدر له أن يشهد بزوغ فجر الإسلام ويتشرف بلقاء نبي الأمة محمد (عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم)، والاستماع إليه والإيمان بدعوته الكريمة المشرفة التي نقلت العرب من غيهم وضلالتهم إلى نور الهداية والإيمان والرشاد.

أما سيرته الأدبية فنجدها حافلة بالعطاء ويبدو أن شرف صحبته لرسولنا الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) قد زاد من هالتها وتألقها، خاصة بعد أن ألقى قصيدة البردة بين يديه، وقد ارتبطت حياة كعب بن زهير بهذه القصيدة التي احتلت مكانتها في عالم الشعر.

فهو شاعر اكتملت عنده مقومات الشاعرية، فكان علمًا بارزًا تميز على أكثر الشعراء فكان أكثر دقة وأقوى اختيارًا واستيفاءً، حتى قيل بأنه قد صفى شعره من الشوائب ...

ألم بموضوعه كل الإلمام فهو أشبه بفنان متقن نقل الأحداث نقلًا دقيقًا لا غبار عليه ولا شبهات فكان تلميذًا بارعًا لأبيه، وشاعرًا معتزًا بالسير على منواله فهو يقول:

فإن سأل الأقوام عني فإنني أنا ابن سلمى على رغم من رغم

أقول شبيهات بما قال عالمًا بهن ومن يشبه أباه فما ظلم

المبحث الثاني: الجانب العلمي

1- الإلزاميات: ويقصد بها الأفعال التي تلزم المتكلم بفعل شيء ما في المستقبل بشرط الإخلاص وهو القصد. وهذا ما جاء في قصيدة

أعلم أنني متى ما يأتني قدري فليس يحبسه شح ولا شفق

بينا الفتى معجب بالعيش مغتبط إذا الفتى للمنايا مسلم غلق

والمرء والمال ينمي ثم يذهبه مر الدهور ويفنيه فينسحق

فلا تخافي علينا الفقر وانتظري فضل الي بالغنى من عنده نثق

إن يفنى ما عندنا فالله يرزقنا ومن سوانا، ولسنا نحن نرتزق

يبدأ الشاعر بالفعل (أعلم) وهو فعل إلزامي ؛ لأنه يشير إشارة واضحة إلى وجوب التغيير فيبين مدى إيمانه بقدره، وبعظمه خالقه العظيم، تلك العظمة التي لا تحد ولا تخالف؛ لذا نجده قد استخدم الأفعال (أعلم / ليس يحبسه / ينمي / ينميه / ينسحق يفنى / يرزقنا / نرتزق) كلها أفعال دالة على القوة اليقينية المؤمنة بقدرة الله على تغيير الحال دائمًا إلى الأفضل، فالله سبحانه وتعالى بيده مقاليد كل شيء، فهو الرزاق ذو الجود والعطاء غير المتناهي ؛ لذا نراه يشير بقوة عبر (لا) الداخلة على الفعل المضارع التي أشارت إلى ضعف الإنسان وخوفه الدائم من الفقر والعوز، وقد بين إيمانه بالقدر وذلك من خلال استخدام الجملة الخبرية (المرء والمال ينمي ثم يذهبه)، (وإن يفنى ما عندنا فالله يرزقنا) فالجملة الخبرية أعطت نتيجة نهائية وحتميه بقوة الله أولًا، والإيمان بقدرته وعظمته وقد وضح الفعل (أعلم) ذلك المعنى، وليضيف القدرة على التأثير في المتلقي عمد إلى استخدام الفنون البلاغية فاستخدم المقابلة بين (يفني وينمي/ الغنى والفقر) والجناس المتمثل بلفظة (يرزقنا ونرتزق) ؛ ليشير إلى قدرة تحقيق الفعل الكلامي المتمثل بالفعل التام أعلم

2- التعبيريات: وتقابل هذه الأفعال أفعال الممارسة عند أوستن مع شرط صدقها، ويشترط فيها الإخلاص، ويدخل في هذا الصنف أفعال الشكر والتهنئة والاعتذار والتعزية والترحيب، وغرضها الإنجازي هو التعبير عن الموقف النفسي تعبيرًا يتوافر فيه شرط الإخلاص، وهذا ما وجدناه في قصيدة جنب النفس ما يعيبها التي جاءت على البحر الطويل

أمن دمنة قفر تعاورها البلى لعينيك أسراب تفيض غروبها

تعاورها طول البلى بعد جدة وجرَت بأذيال عليها جنوبها

فلم يبق فيها غير أس مذعذع ولا في الأثافي الدار إلا صليبها

تحمل منها أهلها فنأت بهم لطيتهم مر النوى وشعوبها

وإذا هي كغصن البان خفاقة الحشى يروعك منها حسن دل وطيبها

فأصبح باقي الود بيني وبينها أماني يزجيها إلي كذوبها

فدعها وعد الهم عنك ولو دعا إلى ذكر سلمى كل يوم طروبها

أ تصبو إلى سلمى ومن دون أهلها مهامه يغتال المطي سهوبها

وبالعفو وصاني أبي وعشيرتي وبالدفع عنها في أمور تريبها

وقومك فاستبق المودة فيهم ونفسك جنبها الذي يعيبها.

هنا نرى الحكمة تنطلي على قصيدة كعب فهو يبدأ القصيدة بأسلوب الإستفهام بقوله (أمن دمنة تعاورها البلى)، وجعل مقابل الاستفهام هذا عددًا من الأفعال الدالة على التعبير ليظهر القوة والاندفاع فاستخدم الأفعال (تعاورها / جرت / لم يبق / تحمل / فأصبح / يزجيها / فدعها)، فالأفعال كلها دالة على التعبير عن التحفيز والتغيير وعدم الثبات وعدم الرضوخ ؛ لأن الإنسان متى ما رضخ إلى عواطفه كلما ركن إلى الهم والبلى ؛ لذا جعل النتيجة تكون عن طريق فعل الأمر (فدعها) ليرتبط ذلك بالاستفهام عن طريق لفظة (أتصبو) وبالحكمة (وبالعفو أوصاني)، لتنتهي بالأمر بقوله:

وقومك فاستبق المودة فيهم ونفسك جنبها الذي قد يعيبها.

وكل ذلك يعكس مدى قوة الفعل التعبيري على التأثير في المتلقي فجملة (فاستبق المودة فيهم) جملة تأثيرية تعكس مدى قدرة الشاعر عن التعبير عما بداخله من حكمة وحنكة، أما العجز المتمثل بقوله: ونفسك جنبها الذي قد يعيبها تعبير خفي بأن قوة الإنسان تكمن في بقاء الإنسان بعيد عن كل شيء يعيبه وهنا يظهر الفعل الإنجازي في قدرته على التغيير.

3- التوجيهات: وهو جعل المتلقي ينجز عملاً معيناً وهذا النوع من الأفعال غرضه إنجازي ويدخل ضمن هذا النوع أفعال (النصح والأذن والأمر والاستفهام).

ويقابل هذا النوع عند أوستن أفعال السلوك وأفعال القرارات، وهذا ما وجدناه في قصيدة كفى بالله كاف والتي جاءت على البحر الوافر

نفى أهل الحبلق يوم وج مزينة جهرة وبنو خفاف

صبحناهم بألف من سليم وألف من بني عثمان واف

حدوا أكتافهم ضربًا وطعنًا ورميًا بالمريشة اللطاف

رميناهم بشبان وشيب تكفكف كل ممتنع العطاف

ترى بين الصفوف لهن رشقًا كما ا نصاع الفواق عن الرصاف

ترى الجرد الجياد تلوح فيهم بأرماح مقومة الثقاف

ورحنا غانمين بما أردنا وراحوا نادمين على الخلاف

وأعطينا رسول الله منا مواثيقًا على حسن التصافي

فجزنا بطن مكة وامتنعنا بتقوى الله والبيض الخفاف

وحل عامودنا حجرات نجد فألية فالقدوس إلى شراف

أرادوا اللآت والعزى إلها كفى بالله دون اللآت كاف

لقد بدأ الشاعر بالأفعال الدالة على القوة والتصدي فاستخدم الأفعال (صبحناهم / حدوا / رمينا / رحنا / أعطينا فجزنا / حل) فالأفعال دالة على الحركة وعدم الثبات وقد أعطى تبريرًا لذلك أنهم ساروا وجدوا في سبيل الله ومرضاة لرسوله (صلى الله عليه وسلم) وقد أعطى نتيجة لذلك قوله:

أرادوا اللآت والعزى إلها كفى بالله دون اللآت كاف

فقد أذاقهم الله الذل والهوان لأنهم قوم عصوا الله وعصوا رسوله وقد بين الشاعر المعادل الموضوعي في ذلك عن طريق الفعل الكلامي المتمثل بـ (نفى) فالفعل بين خسارة الكفار بسبب عبادتهم للأصنام فأضحوا خاسرين نادمين، وثبت العز والرفعة للمسلمين وذلك بانتصارهم على أعدائهم لان ولائهم لله ولرسوله.

4- الإخباريات: وهو إسناد المسؤولية للمتكلم عن وجود وضع الأشياء والغرض الإنجازي في هذه الأفعال هو أن ينقل المتكلم واقعت ما تحتمل أفعال هذا الصنف الصدق والكذب ويتضمن هذا النوع من الأفعال بالمقابل أفعال (الايضاح والاحكام) عند أوستن، وهذا ما وجدنه في قصيدة سأدعوهم إلى البر والتقى والتي كتبها على البحر الطويل:

رحلت إلى قومي لأدعو جلهم إلى أمر حزم أحكمته الجوامع

ليوفوا بما كانوا عليه تعاقدوا بخيف منى والله راءِ

وتوصل الأرحام ويفرج مغرم وترجع بالود القديم الرواجح

فأبلغ بها أفناء عثمان كلها وأوسًا فبلغها الذي أنا صانع

سأدعوهم جهدي إلى البر والتقى وأمر العلا ما شايعتني الأصابع

فكونوا جميعًا ما استطعتم فإنه سيلبسكم ثوب من الله واسع

وقوموا فآسوا قومكم فاجمعوهم وكونوا يدًا تبني العلا وتدافع

فإن أنتم لم تفعلوا ما أمرتكم فاوفوا بها، إن العهود ودائع.

يبدأ الشاعر قصيدته بفعل إنجازي إخباري متمثل بالفعل (رحلت)، وجملة رحلت إلى قوي تظهر مدى الإرتباط القوي بينه وبين أبناء قومه، فهو يعكس مدى تعلقه بهم وخوفه عليهم؛ لذا جاءت الأبيات بصيغ متعددة، وأفعال عدة

فالناظر إلى الأبيات يجد عددًا من الأفعال الأولى متمثلة بالأفعال الماضية

(رحلت) والمضارعة المتمثلة بـ(توصل / ترجع/ سأدعوهم) وأفعال الأمر المتمثلة بـ(فأبلغ / كونوا / قوموا / فأوفوا) وهذا يعطي نتيجة واحدة تتمثل بالقوة التي ينجزها الفعل الإخباري والتي من أجلها أقيمت القصيدة فهو يرى بأن الجميع عليهم الانقياد إلى الدين الجديد؛ لأن فيه تعود المثل والقيم إلى ما كانت عليه، ففيه صلة للأرحام، وفكاك من الدين وبالتالي التخلص من الوقوع في الخذلان، وفيه القدرة على التوحيد ذلك التوحيد الذي يسعى إليه الجميع في سبيل الجمع وليس التفرقة.

5- الإعلانيات: وهي الأفعال التي تحدث تغييراً في الوضع القائم فهي لا تحتاج شرط الإخلاص إنما فهي لا تحتاج شرط الإخلاص إنما غرضها الأساس هو مطابقة الكلام للواقع؛ لأنه غايتها ويدخل في هذا النوع من الأفعال الأفعال الدالة على الإعلان. فهي لا تحتاج شرط الإخلاص إنما غرضها الأساس هو مطابقة الكلام للواقع؛ لأنه غايتها ويدخل في هذا النوع من الأفعال الأفعال الدالة على الإعلان.

قال الشاعر في قصيدة بان الشباب :

بان الشباب وأمسى الشيب قد أزفا ولا أرى لشباب ذاهب خلفا

عاد السواد بياضًا في مفارقه لا مرحبًا ها بذا اللون الذي ردفا

في كل يوم أرى منه مبينة تكاد تسقط مني منة أسفا

ليت الشباب حليف لا يزايلنا بل ليته ارتد منه بعض ما سلف

ما شرها بعد ما ابيضت مسائحها لا الود أعرفه منه ولا اللطفا

لو أنها أذنت بكرا لقلت لها يا هيد مالك أو لو آذنت نصفا

في القصيدة إعلان عن بدء مرحلة عمرية لا يحبذها الإنسان وهي مرحلة التقدم في العمر، وانقضاء الشباب فنرى الشاعر يستخدم فعلًا انجازيًا قويًا للإعلان فنراه يستخدم الفعل (بان / عاد) والفعلان فعلان إنجازيان ماضيان ؛ فقد خلق الشاعر فيهما القدرة على التأثير في المتلقي لما سيؤول إليه حال أي إنسان فلا يغتر بما هو عليه؛ لذا استخدم الجناس غير التام المتمثل بـ (الشيب / والشباب) ليعطي طاقة إنجازية بأن الشباب لا يتساوى مع المشيب، وقد توضح ذلك من خلال الحرف المشبه بالفعل (أمسى) وكانه يعلن بشكل خفي عن روعة الشباب وخذلان المشيب وقد ارتبط ذلك أيضًا ب (ليت / وليته) وكأنه يتوسل ضمنًا بعودة شبابه وقوته من جديد، وقد أشار الضمير المتصل بـ(ليت) بهذا المعنى.

الخاتمة:

من خلال ما سبق تبين لنا عددًا من النتائج التي نذكرها كالآتي:

1- الأفعال الكلامية ذات عنصر تأثيري إقناعي مباشر؛ لأنها تسعى إلى توجيه النص الأدبي من خلال التركيز على محتوى الفعل سواء أكان مباشر أم غير مبشر.
2- سعى أوستن ومن بعده سورل إلى توضيح أهمية الفعل الكلامي من خلال تأسيسهم للنظرية التي تقتضي وجود فعل تأثيري قوي للأفعال، والتي تسعى بدورها إلى الإنجاز.
3- إن تقسيم سورل للأفعال الكلامية ينم عن وعي وإدراك بأن لكل مقام مقال، فمثلًا مقام الصديق يختلف عن مقام العدو، ومقام العدو يختلف عن مقام الحبيب، وهكذا ينمو الفعل وفق علاقة تناسقية تخدم المقام.
4- سلط الشاعر القدرة في نقل المعاني الإنجازية من خلال استعمال الصيغ التعبيرية الدالة على الإفهام والتوضيح ونقل الحدث.
5- كعب بن زهير شاعر ذو كلمة أخاذة دالة على قيمة معنوية وذات دلالة قوية تؤثر في السامع.
6- شذب الإسلام لغة كعب بن زهير وجعلت منه شاعرًا يميل إلى اليقين والإيمان بالقدر.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، أمين نخلة، كلية الآداب – جامعة المستنصرية، 2002م.

2. التحليل اللغوي عند مدرسة اكسفورد، صلاح إسماعيل عبد الحق، دار التنوير للطباعة والنشر، 1993م.
3. التداولية عند علماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، دار الطليعة ت بيروت، 2010 م
4. الحدود في النحو، عبد الله بن أحمد الفاكهي النحوي المكي، ت: المتولي رمضان أحمد الدميري، مكتبة وهبة – القاهرة، 1418هـ- 1988م.
5. دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، 1997م.
6. ديوان كعب بن زهير، صنعه الإمام أبي سعيد السكري، شرح ودراسة: د. مفيد قميحة، ط1 141هـ -1989م، دار الشواف للطباعة والنشر.
7. شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك، ابن عقيل، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، دار التراث – القاهرة، 1400هـ-1980م.
8. العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، جون سيرل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م.
9. الفلسفة واللغة، نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، الزاوي بغورة، دار الطليعة للطباعة والنشر، 2005م.
10. في البراغماتية، وليام جيمس، ت: محمد علي العريان، دار الفراقد للطباعة والنشر، 2014م.
11. في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي، مسعود صحراوي، دار الطليعة للطباعة والنشر،، 2005م.
12. الكتاب، سيبويه، ت: عبد السلام هارون، مطبعة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408-1988م.
13. محاضرات في اللسانيات والتداولية، خديجة بو خشنة، 2009م.
14. المعجم الفلسفي، عادل فاخوري، دار الطليعة – بيروت، 1981م.
15. المقاربة التداولية، فرانسواز ارمينكو، ترجمة: سعيد علوش، مركز الانماء القومي، سوريا، د.ت.
16. نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلام) أوستن، ت: عبد القادر تينيني، أفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2008م.
17. نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة والمعاصرين والبلاغيين العرب، طالب سيد هاشم الطبطباني، جامعة الكويت، 1994م.